

هناك مواقف وأحداث جسام وقعت في الشهر الكريم رمضان، وكان لها أثر كبير في التاريخ الإسلامي، وسلط علماء المسلمين وكتب التاريخ الضوء عليها، وبمناسبة الشهر الفضيل ننشر أهم الأحداث التي وقعت في مثل هذا اليوم من رمضان.

فرض الزكاة وصلاة العيد والأمر بالجهاد: في التاسع والعشرين من رمضان 2هـ الموافق 24 مارس 426م فرضت زكاة الفطر، وفرضت الزكاة ذات الأنصبة وشرعت صلاة العيد، وفي نفس الشهر كان الأمر بالجهاد.

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المبارك لعام 31هـ للعام الميلادي 436، في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب {رضي الله عنه} انتصرت جيوش المسلمين بقيادة المثنى بن حارثة {رضي الله عنه} على الفرس في معركة البويب بأرض العراق، التي ردت الاعتبار للمسلمين بعد هزيمتهم في معركة الجسر أمام الفرس.

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المبارك لعام 29هـ نشبت معركة شذونة أو وادي لكة بين المسلمين بقيادة طارق بن زياد والقوط بقيادة لذريق، وكان النصر فيها حليف المسلمين، وقد هيا هذا النصر أن يدخل الإسلام إلى أسبانيا، وأن تظل دولة مسلمة ثمانية قرون.

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المبارك لعام 652هـ رحل في مدينة بخارى بأوزبكستان الإمام العلامة البخاري، هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وُلد "محمد بن إسماعيل البخاري" في مدينة بخارى بعد صلاة الجمعة (في 13) من شوال 491هـ = 4 من أغسطس 1018م)، وكانت بخارى آنذاك مركزاً من مراكز العلم تمتلئ بحلقات المحدثين والفقهاء، واستقبل حياته في وسط أسرة كريمة ذات دين ومال؛ فكان أبوه عالماً محدثاً، عُرف بين الناس بحسن الخلق وسعة العلم، وكانت أمه امرأة صالحة، لا تقل ورعاً وصلاحاً عن أبيه.

والبخاري ليس من أرومة عربية، بل كان فارسي الأصل، وأول من أسلم من أجداده هو "المغيرة بن برد زبة"، وكان إسلامه على يد "اليمان الجعفي" والي بخارى، فنُسب إلى قبيلته، وانتمى إليها بالولاء، وأصبح "الجعفي" نسباً له ولأسرته من بعده. نشأ البخاري يتيمًا، فقد توفّي أبوه مبكرًا، فلم يهنا بمولوده الصغير، لكن زوجته تعهدت وليدها بالرعاية والتعليم، تدفعه إلى العلم وتحببه فيه، وتزين له الطاعات، فشب مستقيم النفس، عف اللسان، كريم الخلق، مقبلاً على الطاعة، وما كاد يتم حفظ القرآن حتى بدأ يتردد على حلقات المحدثين.

وفي هذه السن المبكرة مالت نفسه إلى الحديث، ووجد حلاوته في قلبه، فأقبل عليه محباً، حتى إنه ليقول عن هذه الفترة: "ألهمت حفظ الحديث وأنا في المكتب (الكتاب)، ولي عشر سنوات أو أقل". كانت حافظته قوية، وذاكرته لاقطة لا تُضيع شيئاً مما يُسمع أو يُقرأ، وما كاد يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى حفظ كتب ابن المبارك، وغيرها من كتب الأئمة المحدثين.

الرحلة في طلب الحديث

ثم بدأت مرحلة جديدة في حياة البخاري، فشد الرحال إلى طلب العلم، وخرج إلى الحج وفي صحبته أمه وأخوه حتى إذا أدوا جميعاً مناسك الحج، تخلف البخاري لطلب الحديث والأخذ عن الشيوخ، ورجعت أمه وأخوه إلى بخارى، وكان البخاري آنذاك شاباً صغيراً في السادسة عشرة من عمره. وآثر البخاري أن يجعل من الحرمين الشريفين طليعة لرحلاته، فظل بهما ستة أعوام ينهل من شيوخهما، ثم انطلق بعدها ينتقل بين حواضر العالم الإسلامي، يجالس العلماء ويحاور المحدثين، ويجمع الحديث، ويعقد مجالس للتحدث، ويتكبد مشاق السفر والانتقال، ولم يترك حاضرة من حواضر العلم إلا نزل بها وروى عن شيوخها، وربما حل بها مرات عديدة، يغادرها ثم يعود إليها مرة أخرى، فنزل في مكة والمدينة وبغداد وواسط والبصرة والكوفة، ودمشق وقيسارية وعسقلان، وخراسان ونيسابور

ومرو، وهراة ومصر وغيرها...

ويقول البخارى عن ترحاله: "دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربع مرات، وأقمت بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصى كم دخلت إلى الكوفة وبغداد".

شيوخه

ولذلك لم يكن غريباً أن يزيد عدد شيوخه عن ألف شيخ من الثقات الأعلام، ويعبر البخارى عن ذلك بقوله: "كتبت عن ألف ثقة من العلماء وزيادة، وليس عندي حديث لا أذكر إسناده". ويحدد عدد شيوخه فيقول: "كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث". ولم يكن البخارى يروى كل ما يأخذه أو يسمعه من الشيوخ، بل كان يتحرى ويدقق فيما يأخذ، ومن شيوخه المعروفين الذين روى عنهم: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وإسحاق بن راهويه، وعلى بن المديني، وقتيبة بن سعيد، وأبو بكر بن أبى شيبة، وأبو حاتم الرازى. العودة إلى الوطن.

وبعد رحلة طويلة شاقة لقي فيها الشيوخ ووضع مؤلفاته العظيمة، رجع إلى نيسابور للإقامة بها، لكن غيرة بعض العلماء ضاقت بأن يكون البخارى محل تقدير وإجلال من الناس، فسعوا به إلى والى المدينة، ولصقوا به تهماً مختلفة، فاضطر البخارى إلى أن يغادر نيسابور إلى مسقط رأسه بخارى، وهناك استقبله أهلها استقبال الفاتحين، فنُصبت له القباب على مشارف المدينة، ونُثرت عليه الدراهم والدنانير. ولم يكد يستقر ببخارى حتى طلب منه أميرها "خالد بن أحمد الدهلي" أن يأتي إليه ليُسمعه الحديث، فقال البخارى لرسول الأمير: "قل له إننى لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، فإن كانت له حاجة إلى شىء فليحضرنى فى مسجدي أو فى دارى، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان، فامنعنى من المجلس ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة أنى لا أكرم العلم". لكن الحاكم المغرور لم يعجبه رد البخارى، وحملته عزته الآثمة على التحريض على الإمام الجليل، وأغرى به بعض السفهاء ليتكلموا فى حقه، ويشيروا عليه الناس، ثم أمر بنفيه من المدينة، فخرج من بخارى إلى "خرتكن"، وهى من قرى سمرقند، وظل بها حتى توفى فيها، وهى الآن قرية تعرف بقرية "خواجه صاحب".

مؤلفاته

- تهيات أسباب كثيرة لأن يكثر البخارى من التأليف، فقد منحه الله ذكاءً حاداً، وذاكرة قوية، وصبراً على العلم ومثابرة فى تحصيله، ومعرفة واسعة بالحديث النبوى وأحوال رجاله من عدل وتجريح، وخبرة تامة بالأسانيد، صحيحها وفاسدها. أضف إلى ذلك أنه بدأ التأليف مبكراً، فيذكر البخارى أنه بدأ التأليف وهو لا يزال يافع السن فى الثامنة عشرة من عمره، وقد صنّف البخارى ما يزيد عن عشرين مصنفاً، منها:
- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه، المعروف بـ الجامع الصحيح.
- الأدب المفرد: وطُبع فى الهند والأستانة والقاهرة طبعات متعددة.
- التاريخ الكبير: وهو كتاب كبير فى التراجم، رتب فيه أسماء رواة الحديث على حروف المعجم، وقد طبع فى الهند سنة (2631هـ = 3491م).
- التاريخ الصغير: وهو تاريخ مختصر للنبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ومن جاء بعدهم من الرواة إلى سنة (652هـ = 078م)، وطبع الكتاب لأول مرة بالهند سنة (5231هـ = 7091م).
- خلق أفعال العباد: وطبع بالهند سنة (6031هـ = 8881م).
- رفع اليدين فى الصلاة: وطبع فى الهند لأول مرة سنة (6521هـ = 0481م) مع ترجمة له بالأوردية.
- الكنى: وطبع بالهند سنة (0631هـ = 1491م).
- وله كتب مخطوطة لم تطبع بعد، مثل: التاريخ الأوسط، والتفسير الكبير.

- صحيح البخارى.

هو أشهر كتب البخارى، بل هو أشهر كتب الحديث النبوى قاطبة. بذل فيه صاحبه جهداً خارقاً، وانتقل فى تأليفه وجمعه وترتيبه وتبويبه ستة عشر عاماً، هى مدة رحلته الشاقة فى طلب الحديث. ويذكر البخارى السبب الذى جعله ينهض إلى هذا العمل، فيقول: كنت عند إسحاق ابن راهويه، فقال: لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ فوقع ذلك فى قلبى، فأخذت فى جمع "الجامع الصحيح". وعدد أحاديث الكتاب 7275 حديثاً، اختارها من بين ستمائة ألف حديث كانت تحت يديه، لأنه كان مدققاً فى قبول الرواية، واشترط شروطاً خاصة فى رواية راوى الحديث، وهى أن يكون معاصراً لمن يروى عنه، وأن يسمع الحديث منه، أى أنه اشترط الرؤية والسمع معاً، هذا إلى جانب الثقة والعدالة والضبط والإتقان والعلم والورع.

وكان البخارى لا يضع حديثاً فى كتابه إلا اغتسل قبل ذلك وصلى ركعتين، وابتدأ البخارى تأليف كتابه فى المسجد الحرام والمسجد النبوى، ولم يتعجل إخراجه للناس بعد أن فرغ منه، ولكن عاود النظر فيه مرة بعد أخرى، وتعهدده بالمراجعة والتنقيح، ولذلك صنفه ثلاث مرات حتى خرج على الصورة التى عليها الآن.

وقد استحسّن شيوخ البخارى وأقرانه من المحدثين كتابه، بعد أن عرضه عليهم، وكان منهم جهابذة الحديث، مثل: أحمد بن حنبل، وعلى بن المدينى، ويحيى بن معين، فشهدوا له بصحة ما فيه من الحديث، ثم تلقته الأمة بعدهم بالقبول باعتباره أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى.

وقد أقبل العلماء على كتاب الجامع الصحيح بالشرح والتعليق والدراسة، بل امتدت العناية به إلى العلماء من غير المسلمين، حيث درس وترجم، وكُتبت حوله عشرات الكتب.

ومن أشهر شروح صحيح البخارى:

- "أعلام السنن" للإمام أبى سليمان الخطابى، المتوفى سنة (883هـ)، ولعله أول شروح البخارى.

- "الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى" لشمس الدين الكرمانى، المتوفى سنة (687هـ = 8431م).

- "فتح البارى فى شرح صحيح البخارى" للحافظ ابن حجر، المتوفى سنة (258هـ = 8441م).

- "عمدة القارى شرح صحيح البخارى" لبدر الدين العينى سنة (558هـ = 1541م).

- "إرشاد السارى إلى شرح صحيح البخارى" للقسطلانى، المتوفى (329هـ = 7151م).

وفاة البخارى

شهد العلماء والمعاصرون للبخارى بالسبق فى الحديث، ولقبوه بأمر المؤمنين فى الحديث، وهى أعظم درجة ينالها عالم فى الحديث النبوى، وأثنوا عليه ثناءً عاطراً.. فيقول عنه ابن خزيمة: "ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخارى". وقال قتبية بن سعيد: "جالست الفقهاء والعباد والزهاد، فما رأيت - منذ عقلت - مثل محمد بن إسماعيل، وهو فى زمانه كعمر فى الصحابة". وقبله تلميذه النجيب مسلم بن الحجاج - صاحب صحيح مسلم - بين عينيه، وقال له: "دعنى أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث فى عله". وعلى الرغم من مكانة البخارى وعظم قدره فى الحديث، فإن ذلك لم يشفع له عند والى بخارى، فأساء إليه، ونفاه إلى "خرتنك"، فظل بها صابراً على البلاء، بعيداً عن وطنه، حتى لقي الله فى (30) رمضان 652هـ = 31 أغسطس (968م)، ليلة عيد الفطر المبارك.

فى مثل هذا اليوم من شهر رمضان المبارك لعام 384 هـ قوات دولة الأندلس الأموية تشنّ هجوماً على طنجة شمال المغرب، حاول الخليفة الأموى الحكم المستنصر أن يسير على سياسة والده عبد الرحمن الناصر فى الاحتفاظ بالقواعد المغربية المطلة على المضيق، مثل سبتة وطنجة، وذلك لإبعاد خطر الفاطميين عن دولة الأندلس الأموية، غير أن هذه السياسة لم تلبث أن اصطدمت بمصالح الأمراء الأدارسة الأشراف الذين يطمعون باستعادة ملكهم على هذه النواحي الشمالية للمغرب، فقاموا بثورة عامة عام 361 للهجرة بقيادة كبيرهم الشريف الحسن ابن جنون، واحتلوا طنجة وططوان وأصيلة وسائر المنطقة الجبلية، غير أن الجيوش الأندلسية الأموية حاصرت طنجة فاستلمت

وقبلوا طاعة الحكم المستنصر، الخليفة الأموي في الأندلس، لكن الحسن ابن جنون، لم يستسلم، وحث صفوفهم من جديد وهاجم الجيش الأندلسي الأموي في مهران من ضواحي طنجة وقتل قائد الجيش الأندلسي محمد ابن القاسم ابن الطوملوس، ثارت ثائرة الخليفة الأموي في الأندلس وصمم على استرداد كرامته ونفوذه في المنطقة، فاستدعى قائده الأعلى غالب ابن عبد الرحمن، المتواجد في مدينة سالم في الأندلس، فانطلق غالب من الجزيرة الخضراء، جنوبي الأندلس، ليعبر البحر المتوسط إلى مدينة طنجة المغربية، وذلك في مثل هذا اليوم، ولم يقتل الأدارسة إلا في شوال، واضطر ابن جنون إلى الاستسلام وطلب الأمان.

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المبارك لعام 683هـ تولى الخلافة الفاطمية أبو علي منصور، الملقب بالحاكم بأمر الله، هو أول خليفة فاطمي يولد في القاهرة، إذ ولد عام 375 للهجرة، ولصغر سنه تولى وصيه على العرش برجوان تسيير أمور الدولة، وعندما دخل الحاكم بأمر الله سن الشباب والرجولة، أمسك بالأمور كلها في يده، وأصدر بعض القرارات الغريبة العجيبة، فمنع الناس من الخروج ليلاً، ومن تناول بعض الأطعمة، ومن زراعة العنب وصيد بعض الأسماك، فعاش المصريون في عهده تحت حصار الطغيان والخوف.

موقعه الخازندار (مرج الصفر): في التاسع والعشرين من شهر رمضان عام 996هـ الموافق 17 يونيو 0031م، حدثت موقعة الخازندار والتي تسمى (مرج الصفر) جنوب شرق دمشق، والتي استطاع فيها القائد أحمد الناصر بن قلاوون أن يهزم التتار.

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المبارك لعام 617هـ وفاة السلطان المغولي محمد أولجايتو، من مشاهير سلاطين الدولة الإيلخانية، تولى الحكم بعد أخيه السلطان محمود غازان، وشهد عهده إقبال المغول على الدخول في الإسلام، ويعد عصره من أزهى عصور الإيلخانيين في العراق وإيران، ومن أعظم إنجازاته إنشاء مدينة "سلطانية".

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المبارك لعام 1501هـ مولد السلطان محمد الرابع بن إبراهيم الأول، السلطان التاسع عشر في سلسلة سلاطين الدولة العثمانية. حكم فترة طويلة بلغت نحو أربعين عاماً، شهدت فيها الدولة فترات من الازدهار والهبوط، وفي عهده تم حصار فيينا الثاني لكنها لم تسقط، وبرزت أسرة آل كوبريللي المشهورة في التاريخ العثماني...

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المبارك لعام 0421هـ المصادف للسابع عشر من شهر أيار للعام الميلادي 5281، اقتحم إبراهيم باشا، قائد الجيوش المصرية، والذي أرسله محمد علي باشا، والي مصر، لنجدة الجيوش العثمانية في اليونان، التي اشتعلت بالثورة ضد العثمانيين، في مدينة نواترين بعد حصار شديد.

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المبارك لعام 0531هـ رحل القاضي أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل النبهاني، أصله من عرب البادية بفلسطين، ولد ونشأ بها ثم سافر إلى مصر وتعلم بالأزهر الشريف من العام 1283 إلى العام 1289 للهجرة، ثم ذهب إلى الأستانة وتوظف بها، ثم رجع إلى بلاد الشام عام 1296 هجري، فتنقل في أعمال القضاء، إلى أن كان رئيساً لمحكمة الحقوق في بيروت عام 1305 للهجرة، له كتب ودواوين شعرية كثيرة، منها: {جامع كرامات الأولياء} {تهذيب النفوس} {المجموعة النبهانية} وغيرها.

كاتب المقالة : منقول

تاريخ النشر : 21/08/2012

من موقع : موقع الشيخ الدكتور/ محمد فرج الأصفر

رابط الموقع : www.mohammedfarag.com